

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة كيرىوس كيرىوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة عيد الآباء و الأجداد في مدينة بيت ساحور 27-12-2015.

“أيُّهَا الْمُحِبُّ الْبَشَرِ بِمَا أَنْزَلَكَ إِلَيْهِ السَّلَامَ وَأَبُو الْمَرَامِ
فَقَدْ أُرْسِلْتَ لَنَا رَسُولَ رَأْيِكَ الْعَظِيمِ مَانَحًا إِيَّانَا سَلَامَكَ فَلِذَلِكَ إِذْ
قَدْ اهْتَدَيْنَا إِلَى نُورِ الْمَعْرِفَةِ الْإِلَهِيَةِ فَنَحْنُ نَدَّ لَجٍّ مِنْ اللَّيْلِ
مُجْدِينَ تَنَازَلَكَ”

أيها الأخوة المسيحيون ،

أيها الزوار الحسني العبادة الأتقياء ،

إن ذكرى الأجداد الموقرين قد جمعتنا اليوم في هذا المكان المقدس
حيثُ كان الرعاةُ ساهرين كما يشهدُ على ذلك القديس لوقا الانجيلي
قائلًا ” وَإِذَا مَلَائِكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ (أي بالرعاة) ،
وَمَجَّدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ ، فَخَافُوا خَوْفًا
عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمْ الْمَلَائِكُ : «لَا تَخَافُوا! فَهِيَ أَنْزَلَا
أَبَشَّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ :
أَنْزَلَهُ وَلَدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ
مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. (لو 2 : 9 - 11) فقد جمعنا
هذه الذكرى لكي باستحقاقٍ نعيد للجدود القديسين و نكرِّمهم .

إن إقامة ذكرى آباء ما قبل الناموس أي آباء العهد القديم،
إبراهيم ومن معه من الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة ، له أهمية
خاصة وذلك نسبةً للحدث الذي لا يقبل الشك فيه كما يؤكد ذلك
الإنجيلي يوحنا بأن ”الكَلِمَةُ حَقًّا صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ
بَيْنَنَا“ (يو 1 : 14).

فإن هذا الإله الكلمة ليس هو إلا ذلك الذي أعلنه سابقاً النبي
إشعيا العظيم الصوت: ”رسول رأي و إرادة الله الآب العظيم
(اشعيا 9 : 6) أي ”المسيا“ أي ربنا يسوع المسيح . “إنها رغبة و
إرادة الله و الآب الكبير” يقول القديس مكسيموس المعتبر و يكمل
قائلًا : “إن السر الخفي و المجهول و اللذي صار تدبيراً و الذي

تممه و أعلنه بتجسده الابن الوحيد عندما صار حامل رغبة و إرادة الله الأب قبل الدهور.

لقد أعلن الله لابراهيم السر الخفي والتدبير غير المعروف كما يعلم بذلك القديس بولس الرسول قائلا: "وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ يُبَرِّرُ الْأَمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ "فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الْأَمَمِ" (غلا 3 : 8) و أيضا فقد سبق الأنبياء وتفوهوا بفم إشعياء النبي قائلين "وَلَكِنْ يُعْطِيكُمْ السَّيِّدُ زَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ "عِمَّانُؤِيلَ" (إشعياء 7 : 14) ، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللَّهُ مَعَنَّا". (متى 1 : 23)

وبكلام آخر أيها الإخوة الأحبة إن القديسين الأجداد كانوا معاوين في هذا العالم لإظهار "رغبة الله ورسول أرادته العظيم" أي "المسيح" لأنهم قد سبقوا وهياؤا الطريق التي قادت الإنسان إلى نور معرفة الله ، وذلك لأن الإنسان كان يقبع في ظلام الجهل والضلال وعبادة الأوثان واقتيد إلى نور معرفة الإله الحقيقي "لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلُمَةِ وَطِلَالِ الْمَوْتِ ، لِيَكِيَّ يَهْدِيَّ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلَامِ (لوقا 1 : 79).

لهذا فإن مرزيم الكنيسة يهتف قائلا: " لنجتمعن اليوم يا مُحِبِّي الآباء مسرورين بتذكار الآباء آدم وهابيل وشيتا وانوش واخنوخ ونوحا ، وابراهيم واسحاق ويعقوب ، وموسى و أيوب وهارون . ولعازر ويشوع وباراق . وشمشون ويفتاح . وداود وسليمان .الذين منهم ظهر المسيح الرب متجسدا عن فرط تحننه ".

إن حضور المسيح بالجسد بيننا نحن البشر هو الذي مَحَقَ ظلام الجهل وخطم الفساد أي الموت الذي يَلِدُ الخطيئة كما يشهد بذلك القديس الانجيلي يوحنا " لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدِ جِئْتُ وَكَلَّمْتُهُمْ ، لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ ، وَأَمَّا الْآنَ فَلَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي خَطِيئَتِهِمْ ". (يوحنا 15 : 22) وأيضا "فَقُلْتُ لَكُمْ: إِنْ كُمْ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ ، لَأَنْزَلَكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنْزَلِي أَنْزَا هُوَ (يقول يسوع) تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ ". (يوحنا 8 : 24)

وبحسب القديس بولس الرسول فإن قَلْبَ الموت هو الخطيئة وقوة الخطيئة هي الناموس (الموسوي) "أَمَّا شَوْكَةُ الْمَوْتِ فَهِيَ الْخَطِيئَةُ ، وَقُوَّةُ الْخَطِيئَةِ هِيَ النَّامُوسُ". (1كور 15 : 56). إذ أن مركز الموت هي الخطيئة و قوة الخطيئة هي الناموس لأنه لو لم يوجد الناموس سوف لن أعرف الخطيئة وسوف لن يخطئ البشر بمعرفة.

إن كنيسةنا المقدسة تُوَقِّرُ وتُكْرِمُ ذكرى الجدود القديسين لأن أولئك قد امتازوا بإيمانهم إذ هم من أبرار شعب العهد القديم وعلاوةً على ذلك لأن من نسل إبراهيم قد جاء المسيح كما يعلم بذلك القديس بولس الرسول: "فَإِنَّ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْوَعْدِ وَرَثَةٌ". (غلاطية 3 : 29). فإن ناموس موسى كان مؤدباً لنا، لأن هذا الناموس (الموسوي) قد أعدَّنا وهدَّنا لكي نَتَلَهَفُ شوقاً حتى نعرفَ المسيح ونحصلُ على البرِّ بالإيمان به. كما يقول بولس الرسول: "وَلَكِنَّ قَبْلَ مَا جَاءَ الْإِيمَانُ كُنَّا مَحْرُوسِينَ تَحْتَ الذَّمِّامُوسِ، مُغْلَقَاتٍ عَلَيْنَا إِلَى الْإِيمَانِ الَّتِي نَعْتِيدُ أَنْ يُعْلَنَ. إِذًا قَدْ كَانَ الذَّمِّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَّبِعَ رِجَالِ الْإِيمَانِ. وَلَكِنَّ بَعْدَ مَا جَاءَ الْإِيمَانُ، لَسْنَا بَعْدَ تَحْتِ مُؤَدِّبٍ. لِأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ". (غلا 3: 23-26).

"بعدما جاء الإيمان" أي الإيمان بالمسيح الذي يحثُّ على الكمال. "الإيمان هو الذي يجعل الإنسان على كاملاً" بحسب القديس يوحنا الذهبي الفم "و يعلمهم القدس بولس الرسول قائلاً" إِنْ الذَّمِّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئًا. وَلَكِنَّ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَوْ فَضْلٍ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللَّهِ" (عبرانيين 7 : 19).

وبكلام آخر إن الناموس لم يستطع أن يقودنا إلى الوحدة مع الله ولكن في العهد الجديد، عهد المسيح، أي في داخل الكنيسة لنا ثقةٌ ورجاءٌ ثابتٌ لا يتزعزع أن نقترِب من الله. ولهذا السبب عينه يُقام سر الشكر الإلهي والذي يدعى بحق الشركة الإلهية، كما يعلم القديس أثناسيوس الكبير إذ يقول أن: "الكلمة صار جسداً وذلك لكي يُقدِّم جسده ذبيحةً للجميع، ونحن نأخذ من روحه وذلك عبر الاشتراك في المناولة الإلهية لكي نستطيع أن نكون آلهةً بالنعمة وكل ما سبق سوف يكون مستحيلاً لو لم يرتدي الرب جسداً بشرياً.

ختاماً نتضرعُ إلى القديسين الأجداد لكي يؤهلنا الرب إلهنا نحن الحراس الساهرين على هذه الأماكن المقدسة، أماكن الرعاية، وذلك حتى نصل إلى مغارة بيت لحم بقلوبٍ نقية طاهرة مُقدمين الهدايا للطفل المُضَجَّع في المذود، المسيح إلهنا، الذي وُلد من دماء الطاهرة النقية والدائمة البتولية مريم، وما هذه الهدايا إلا توبتنا وعبادتنا الحسنة، مُسَبِّحِينَ اللَّهَ ومنشدين له و قائلين: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة. (لو 2 :

آمين
كلُّ عامٍ و أنتم بالف خيرٍ
أعياد ميلاد مجيدة